

**جامعة ابن طفيل**

**كلية اللغات والآداب والفنون**

**القنيطرة**

**شعبة اللغة العربية وآدابها**

**أدب وفنون- الفصل الخامس**

**مادة " الأدب المقارن"**

**الأستاذة: نورة لغزاري**

**التاريخ: 12 يناير1220**

**الدرس البعدي المكتوب السادس:**

* **ا** **الدرس الأدبي المقارن العربي بين الانفتاح ومحاولة التأصيل.**

**نصوص من أجل التأمل (السلسة 6):**

**النص الأول:**

 " الأدب المقارن في الوطن العربي حديث الميلاد، صغير النشأة، لا يتعدى عمره ثمانين سنة، ولا نريد بتلك السنين الأدب المقارن بمفهومه الناضج المتكامل على يد أساتذته المتخصصين، بل ينضوي تحتها تلك المقدمات والإرهاصات التي سبقت ذلك المفهوم الناضج، ولا شك في أنها تكتسب أهمية خاصة من حيث الدهشة به أولا، والالتفات إليه ثانيا، والكتابة فيه ثالثاـ والترويج له رابعا، ولم يكن ليستوي على عوده ويشتد ساعده بغير تلك المحاولات سواء منها الفجة أو الناضجة، المدعية أو الأصلية. ومنذ أن التفت إليه نجيب الحداد في مقاله بالبيان عام 1897 عن [المقابلة بين الشعر العربي والشعر الإفرنجي]، وأحمد أفندي كامل في مقاله بالمقتطف سنة 1900 عن [بلاغة العرب والإفرنج]، وسليمان البستاني في ترجمته إلياذة هوميروس سنة 1904، وقبلهم رفاعة الطهطاوي [1801-1873] في كتابه [تخليص الإبريز] نقول منذ أن التفت أولئك الرواد إلى هذا اللون من الدراسة حتى بدأ الاهتمام به يأخذ سمتا آخر، ليقع الموضوع بيد الرائد روحي الخالدي الذي خصه بكتاب [تاريخ علم الأدب بين الإفرنج والعرب]، ويعالج الخالدي في هذا الكتاب قضايا هي من صميم الأدب المقارن التطبيقي، مما يجعله عملا واعيا مبكرا في الإحساس بأهمية المقارنة بشكل عام، ومحاولة الإفادة منها في تبيان مكانة الأدب العربي بشكل خاص.

وتتوالى الدراسات بعد الخالدي، النظري منها و التطبيقي في محاولات جادة للحاق بهذا الركب الذي تأخر عنه العرب حتى يستقر الأمر برمته بين يدي أستاذ متخصص، مكتمل الأدوات ذي ذوق واطلاع واسع، خبير بمناهج الأدب المقارن، قد استصفى واحدا منها لنفسه يأخذ به هو المنهج الفرنسي، وذلك هو الدكتور محمد غنيمي هلال الذي نقل الأدب المقارن نقلة جوهرية إذ جعل منه فنا منفصلا عن تاريخ الأدب، وأشاع منهجيته السليمة، وتناول موضوعات منه في أبحاث مستقلة كالمواقف الأدبية والنماذج الإنسانية، بالإضافة إلى إتقانه عدة لغات أجنبية ".[[1]](#footnote-1)

**النص الثاني:**

 "لقد ظهر بالفعل مصطلح"الأدب المقارن" في الكتابات العربية في الربع الثاني من هذا القرن، عندما كتب فخري أبو السعود خلال عامي 1935-1936 مجموعة من المقالات، قارن فيها جوانب من الأدب العربي، والأدب الانجليزي تتشابه في موضوعاتها دون أن يكون بينها روابط واتصالات تاريخية وأيا ما كان الرأي في قيمة هذه الدراسات، فقد حملت بالتأكيد معها مصطلح "الأدب المقارن" الذي كان يضعه أبو السعود عنوانا جانبيا لمقالاته.

وبالرغم من ظهور كتابين مؤلفين حول الأدب المقارن بدار العلوم أواخر الأربعينيات لكل من عبد الرزاق حميدة وإبراهيم سلامة، وظهور كتاب مترجم عن الفرنسية لفان تيجم، فإن إصدار غنيمي هلال لكتاب: "الأدب المقارن" سنة 1953، اعتبر بداية التأليف المنهجي في ذلك الفرع في الأدب العربي. "[[2]](#footnote-2)

**النص الثالث:**

 "حينما اقترحنا التمهيد للوضعية العامة للدرس المقارن، في إطار المدارس، فإننا نعتقد في انسجام طروحاتنا عن المدرستين الفرنسية والأمريكية، إلا أن هذا الانسجام لا يلبث أن يختل نسبيا مع المدرسة السلافية، ويتكسر مع المدرسة العربية لأن روح الائتلاف في المنظورات الفرنسية والأمريكية والسلافية، تفتقد مع المدرسة العربية، وما يدعونا إلى الاحتفاظ بالتسمية رغم ما تعكسه من خلل منهجي، هو اعتمادنا على الحقل الثقافي والفضاء الجغرافي الذي يمتد فيه الدرس الأدبي المقارن.

وينبني تحفظنا على تسمية المدرسة العربية، من كون هاته المدرسة لم تستطع الاستقلال بذاتيتها نهائيا، بل يستغرقها هم الترويج والدعاية للدرس، كما لو كان درسا غريبا تجب الدعوة إلى تبنيه عربيا.

ولعل الخلل، كل الخلل هو ما أصاب الدرس العربي، من انبهار بتاريخية المدرسة الفرنسية، خاصة والآداب الغربية عامة. كما يعوق خروج المدرسة العربية انقطاع أبحاث المقارنين العرب عن تواصلها أو تجاهل المعاصرين الواحد للآخر، والأجيال للأخرى، الشيء الذي يبقي الدرس المقارن في العالم العربي عند نقطة البدء والانطلاق، أي الالتصاق بالتعريف."[[3]](#footnote-3)

**النص الرابع:**

 " المقارنة مصدر خصب من مصادر المعرفة الإنسانية، فالإنسان في مختلف دراساته اتخذ المقارنة سبيلا للوصول إلى الحقائق الجوهرية المتعلقة بميادين بحثة، ففي علم الحيوان مثلا قارن الدارسون بين الحيوانات المختلفة فصنفوها إلى أجناس وأنواع، وكان هذا التصنيف مبنيا على ملاحظة الخصائص الجوهرية لكل جنس من الأجناس وكل نوع من الأنواع المتباينة، وقد سلك الباحثون في شتى العلوم تلك السبيل."[[4]](#footnote-4)

**النص الخامس:**

 "إن هذه النظرة العامة إلى الفنون قد استتبعت بعض الدراسات المقارنة التي تبحث عما بين الفنون من التشابه بما أنها كثيرا ما قادت إلى الحديث عن أحد الفنون بلغة مقتبسة من فن آخر، من ذلك استخدام مصطلحات التصوير أو النحت في الحديث عن الشعر، فتظهر مصطلحات مثل التلوين في القصيدة أو التجسيم في الصورة الشعرية."[[5]](#footnote-5)

**النص السادس:**

 "هي لغات متساوية القدر، حية وفصيحة جميعها، تطمح آدابها عبر فعل المقارنة إلى الوصول إلى "شعرية مقارنة" تلامس الجوهر الإنساني في ذات الوقت الذي تحتفل فيه بالاختلاف المثمر الرافض للهيمنة والتنميط

يندرج هذا النشاط ، المهداة أعماله إلى المقارن المغربي والعربي الدكتور سعيد علوش، ضمن تقليد رسخه ماستر الأدب العام و النقد المقارن منذ سنة 2008، استجابة لتوصية مؤتمر القاهرة 2007، بالاحتفال بيوم عربي للأدب المقارن وحوار الثقافات، وقد تزامن احتفال هذه السنة مع إنشاء مختبر "الدراسات المقارنة"، مما دعم طموح الماستر إلى أن يوسع من أفق هذه الاحتفالية، فمن ندوات على مستوى الجامعات المغربية، وأيام دراسية يتم فيها إشاراك الطلبة باعتبارهم فاعلين منتجين، إلى ندوة دولية تضم مقارنين ومهتمين من مختلف الجامعات العالمية، سيساهمون بأبحاثهم في إغناء النقاش المتشعب الذي تطرحه المقارنة العالمية، في زمن "معولم" يسعى بكل الأساليب المتاحة إلى طمس الاختلاف بصفته جوهرا إنسانيا، رغم ما يبدو من مظاهر تشجيع التنوع الثقافي."[[6]](#footnote-6)

**الأفكار الأساسية الواردة في النصوص:**

1. يتعرض النص الأول لإرهاصات الدرس الأدبي المقارن في العالم العربي عبر نماذج تحتل مكانة مهمة في تاريخ الأدب والنقد الأدبي و الأدب المقارن، لأنها مؤلفات سجلت وعيا صارخا بوجود الآخر الغربي، ولكون المقارنة قدرا للمثقف العربي الذي ما لبث يتساءل عن سر تقدم الغرب، وكان قدر الإجابة عن هذا السؤال المؤرق ارتباط واضح بأروبا في إطار علاقة تثاقفية سال مداد كثير من أجل تحديد مدى إراديتها أو قسريتها. إلا أن الكتابات التي سجلت وعيا مقارنيا مبكرا لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تعتبر تاريخا رسميا لبداية المقارنة في العالم العربي ، إلى أن ظهر مجموعة من المتخصصين الذين اطلعوا على الدرس من مصادره الفرنسية، وحاولوا رسم ملامح مقارنة عربية وفية لتاريخية الدرس المقارن الفرنسي، ويأتي على رأس هؤلاء : محمد غنيمي هلال.
2. يتطرق النص إلى مجموعة من الكتابات التي اعتبرت مؤسسة للدرس الأدبي المقارن عربيا مثل: عبد الرزاق حميدة ، وإبراهيم سلامة، إضافة إلى ترجمة كتاب " الأدب المقارن " لفان تيجم، وقد سبقوا بما كتبه فخري أبو السعود في ثلاثينيات القرن العشرين الذي كتب عدة مقالات كان يضع على رأسها دائما عبارة: الأدب المقارن، لكن البداية المنهجية هي التي سجلت مع محمد غنيمي هلال الذي درس هذا العلم بالسوربون، وعاد إلى بلده مزودا بموسوعية معرفية وتعدد لغوي مكناه من وضع اسس الدرس عربيا على الطريقة الفرنسية من خلال روادها الأوائل.
3. يعبر سعيد علوش عن موقفه تجاه تسمية "مدرسة" بالنسبة للدرس العربي لأنه لم يفرز توجها خاصا به، فتعرفها على الدرس كان بفعل ملامسته في مصدره الفرنسي، وحتى بعد التعرف ظلت مهووسة بالتعريف والترويج في إطار تاريخية المدرسة الفرنسية، كما أن جهود المقارنين العرب لم تشكل انسجاما واسترسالا وتواصلا بقدر ما عبرت عن هوس مفرط بريادة الدرس في العالم العربي.
4. يربط النص وبكل وضوح العلاقة بين الدرس الأدبي المقارن وبين علم الحيوان للتأكيد على أن المقارنة ظاهرة وجودية مؤسسة لفعل المعرفة.
5. يعتبر المقارن عبد السلام كفافي من المقارنين الذين يملكون وعيا مقارنا من المنظور الأمريكي، لذلك نجده في كتابه يركز على علاقة الأدب بالفنون، ويرى أنها قديمة، انتبه إليها منذ شعرية أرسطو، وجاءت الدراسات المقارنة كي تطور هذا المنظور. وقد أعطى في كتابه هذا نماذج تطبيقية لدراسة هذه العلاقة، يوجد نموذج منها في النص (علاقة الشعر بالرسم والنحت مثلا).
6. ألقت منسقة ماستر الأدب العام والنقد المقارن كلمة بمناسبة الاحتفال باليوم العربي وحوار الثقافات، شاركت فيه فعاليات ثقافية من دول متعددة، احتفاء برائد من رواد المقارنة العربية وهو الدكتور سعيد علوش، الذي انخرط بثراء فكره وموسوعيته المعرفية ومسايرته لآخر مستجدات الدرس عالميا، في مرحلة ما بعد المقارنة،علما أن هذا التطور الفكري في مجال "الدرس المقارن" معرفة ومنهجا يصادفه تعثر في مسار الأدب المقارن داخل الجامعات المغربية. فالمقارنة لم ترق بعد إلى أن تصبح حالة فكر أو ممارسة ثقافية تؤسس لعلاقة متوازنة بين الأنا والآخر.إن الاحتفاء باليوم العربي للأدب المقارن سعي حثيث نحو الرقي بفعل المقارنة في العالم العربي كي يتخلص من عقدة "غربية المقارنة" والمرور بعد الاستهلاك والترويج إلى الهضم وإعادة الإنتاج كي يكون التلقي العربي للمقارنة منتجا غير مكرر، الشيء الذي جعل المؤتمر العشرين للرابطة العالمية للأدب المقارن يثمن هذه التجربة العربية، ويعمل على تفعيل انخراطها في مسار الدرس المقارن عالميا.

**خلاصات تركيبية:**

أول ما يمكننا استخلاصه من اطلاعنا على بعض الكتب التي تطرقت لنشأة الأدب المقارن في العالم العربي اتفاقها على وجود إرهاصات ارتبطت بالعلاقة التثاقفية العربية الأوروبية، والمنخرطة في فعل التحديث العربي وتحقيق نهضة تستلهم أدواتها من التجربة الغربية.

يعتبر غنيمي هلال رائدا في مجال الإدخال المنهجي للأدب المقارن إلى العالم العربي. رغم ظهور كتابات قبله يحمل جلها عنوان " الأدب المقارن "، لكن تجربة غنيمي هلال كانت وفية لتصور المقارنين الفرنسيين الأوائل، إذ ركزت على عمليتي التأثير والتأثر وعلى تاريخية الدرس في الوقت الذي بدأت فيه فرنسا تراجع هذه المفاهيم.

من معيقات الدرس أيضا في بدايته صراع المقارنين على الريادة مما جعلهم يسقطون في التكرار، لكن وضع كل هذه الأعمال في سياقاتها الفكرية والثقافية والسياسية يجعلنا نقدر المجهود الكبير الذي بذله المقارنون العرب خلال الإرهاصات وإبان مرحلة التأسيس والتأصيل والترويج.

 لكن المطلع على الدرس بعد نظريات ما بعد الاستعمار يجده قد تطور كثيرا وبرع المقارنون العرب في مسايرة المخاضات الكبرى التي عاشها ويعيشها الأدب المقارن عالميا، ولا أدل على ذلك من النموذج الفذ: ماستر الأدب العام والنقد المقارن في الرباط، ثم التوصل إلى الاحتفال سنويا في دولة من الدول العربية باليوم العربي للأدب المقارن في تواصل دائم مع ما يعرفه الأدب المقارن من مستجدات على المستوى العالمي، لكن الإشكال أن الأدب المقارن داخل الدراسات الأساسية ما يزال محتشما، ومازال نقصان العدة المعرفية والمنهجية لدى الطلبة يشكل حاجزا أمام انسيابية الدرس باعتباره منهج تفكير وإنتاج وإبداع وتفاعل، يتقاطع مع العلوم والفنون، وهذا بدوره يبرر المشكل الأكبر: ما هو السبيل إلى استيعاب هذا التقاطع لدى الطلبة.

1. - وليد محمود خالص، أوراق مطوية من تاريخ الأدب المقارن في الوطن العربي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، طبعة 1997،ص:11-12-13 . [↑](#footnote-ref-1)
2. - أحمد درويش:نظرية الأدب المقارن، منشورات دار غريب، للطباعة والنشر والتوزيع،طبعة 2002 ، ص: 37-38. [↑](#footnote-ref-2)
3. - سعيد علوش: مدارس الأدب المقارن، مرجع سابق، ص: 159. [↑](#footnote-ref-3)
4. - محمد عبد السلام كفافي: في الأدب المقارن، مرجع سابق، ص: 17. [↑](#footnote-ref-4)
5. - نفسه، ص:36. [↑](#footnote-ref-5)
6. -المقارنون العرب اليوم –تكريما للأستاذ سعيد علوش القسم الأول- تنسيق إدريس اعبيزة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 181/ص:15 (نص مأخوذ من كلمة منسقة ماستر الأدب العام والنقد المقارن: فاتحة الطايب). [↑](#footnote-ref-6)